التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط والأندلس في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، المجال الفني والعلمي – أنموذجا–

Pictures of the participation of Maghrebains and Andalusians in the Crusades in Egypt and the Levant from the 5th to the 9th centuries

د عمار غرايسة *

جامعة الوادي

agheraissa@yahoo.com

أ سعيدة زاوط

جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة

zaoutsaida@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/04/07 تاريخ القبول 2024/05/15 تاريخ النشر 2024/06/22

ملخص: عرفت العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس ازدهارا ملحوظا خلال القرن السادس الهجري، حيث قامت بينهما علاقات متينة في شتى المجالات العلمية، والفنية، والأدبية. وقد ساعد على هذا التقارب الذي صنع الاندماج الحضاري والثقافي بين هذين القطرين عوامل جمة أهمها القرب الجغرافي بينهما، والوحدة المذهبية، الفقهية والعقدية. مما أدى إلى سهولة حركة العلماء والفنانين والحرفيين بينهما، خاصة هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب عموما والى الحواضر الكبرى في المغرب الأوسط. وقد نتج عن هذا الاندماج الثقافي ازدهار علمي ومعرفي وتلاقح فكري ساهم في نشر العلم والدين في أوساط الطلبة وعامة الناس. كما ازدان العمران المغربي بطراز جديد حافظ على متانته وطابعه، لكنه تأثر بجمال الهندسة الأندلسية التي تأثرت بطبيعة المنطقة ،كما استطاع الفنانون والموسيقيون المغاربة بعد الاحتكاك بالموسيقيين الأندلسيين أن يبدعوا

* المؤلف المراسل

طابعا جديدا ترنم بأوتار وأزجال وموشحات جديدة. وكل هذا يدل على التكامل الحضاري والثقافي الذي ينبغي أن يدرس ويُكرّم.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط، الأندلس، الثقافة ، العلوم ، الفكر ، .

Abstract:

The cultural relations between the Middle and Andalusian Maghreb were well known during the sixth century AH, where they had strong relations in various scientific, artistic and literary journals. This rapprochement, which made cultural and cultural integration between these two countries, has helped many factors, the most important of which is the geographical proximity between them and the confessional, doctrinal, and doctrinal unity. Which led to the ease of movement of scientists and artists and artisans between them, especially the migration of Andalusians to the Maghreb in general and to the big cities in Central Maghreb. This cultural integration has resulted in a scientific and cognitive prosperity and an intellectual exchange that contributed to the spread of science and religion among the students and the general public. Moroccan architecture and craftsmanship continued to maintain its durability and character, but it was influenced by the beauty of Andalusian architecture, which was influenced by the nature of the region. The Maghrebian artists and musicians, after contact with Andalusian musicians, were able to create a new character with new strings and hymns. All this indicates the cultural and cultural integration that should be studied and honored.

***key words**:* Central Maghrebcultural**,** musicians**,** Maghreb**,** Maghrebian**,** Andalusian)

مقدّمة:

عرفت العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ارتباطا وثيقا من خلال ما كان من اتصال فكري وبشري بينهما.

في هذا البحث سنتناول هذا موضوع التواصل الثقافي بين الحاضرتين خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي على مستوى المجال العلمي والفني كأنموذج نحاول من خلاله الكشف عن جوانب هامة من الاندماج الثقافي في مجالي الدراسة بين هذين القطرين الجارين، وامتد لقرون لاحقة. وذلك لما يمثله هذا الموضوع من أهمية بالغة كونه يبحث في

موضوع متعلق بالجانب الثقافي الذي لم يأخذ حظه عادة من الاهتمام على غرار ما تحظى به الجوانب ذات الطابع السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي من حيث التحليل والنقد والتركيب والتأريخ.

من هنا يحاول هذا العمل البحث في محاولة بيان أبرز أشكال التواصل الثقافي بين المنطقتين بخاصة في المجالين العلمي والفني، واستظهار أهم المؤثرات التي كانت وراء تعميق الترابط واستمرار التواصل بينهما

من الدراسات السابقة التي عدنا إليها في اعداد هذا العمل، العلاقات الثقافية بين الأندلس ودول المغرب بين القرنين 7 و 9هـ / 13 و 15م مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الأوسط، إعداد الباحث بكري العيد إشراف الأستاذ الدكتور مزهودي مسعود، وقد حاولت أن تستوعب علاقات التواصل الثقافي بين القطرين، وأكد الباحث على حقيقة الاندماج الثقافي الذي ميَّز العلاقة بينهما في كل المجالات العلمية والأدبية والفنية على مدار مجال الدراسة، و ربما امتد لقرون لاحقة. الدراسة الثانية فكانت حول العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني 633هـ-962هـ / 1236- 1555م، إعداد الباحث عبد القادر بوحسون، إشراف الدكتور لخضر عبد اللي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2007-2008م، وقد عالجت هذه الدراسة الفترة الأبرز في تاريخ العلاقة بين القطرين، وأكدت على الروابط المتينة بينهما في مختلف المجالات العلمية منها على وجه الخصوص.

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التاريخي الذي يقوم على وصف أحداث وقعت في الماضي وصفا كيفيا، ويرصد عناصرها ويحللها ويفسّرها.

1 . العوامل المساهمة في تقوية الروابط بمجال الدراسة:

1.1 التقارب الجغرافي:

يعتبر المغرب الأوسط جزءا من المجال الجغرافي للمغرب الإسلامي في إطاره الطبيعي وتركيبته، القبلية وسياقه التاريخي. فقد ظهر كلفظ اصطلاحي في الكتابات الجغرافية ابتداء من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[1].

أما الأندلس تاريخيا فترتبط بالتراث الإسلامي منذ فتحها على يد طارق بن زياد، الذي دخل غرناطة بعدما أرهق الإسبان وأوغل في البلاد، وقد اخذ العرب يتوافدون إليها، ولاسيما عرب الشام[2].

أما جغرافيا فهي جزيرة قريبة من شكل المثلث، ومعظمها يقع على البحر، وحدها من المحيط الأطلسي.وتقع من جهة الشرق والجنوب الشرقي على البحر المتوسط المسمى بالبحر الشامي.وصفها ابن سعد بأنها جزيرة أحاطت بها البحار فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جانب. تقع شبه الجزيرة الأيبيرية في الجنوب الغربي من أوروبا على مثلث من الأرض يضيق كلما اتجهنا إلى الشرق، ويتسع كلما اتجهن غربا، ويتصل شمالا مع فرنسا بسلسلة البيرينيه، مما جعل العرب يطلقون عليه جزيرة الأندلس مجازا. تعد جبال البيرينيه هي الفاصل البري الوحيد الذي يربط شبه الجزيرة الإيبيرية مع أوروبا، فتلتقي في الشمال مع المحيط الأطلنطي، وفي الجنوب مع المتوسط[3] .

عندما بدأ الفتح الإسلامي لشمال افريقية لم يكتمل إلا بفتح الأندلس. ونظرا للتقارب الجغرافي بين بلاد المغرب والأندلس فقد شكَّلا وحدة جغرافية مشتركة. لذلك كان للعامل الجغرافي دورً هام في ربط العلاقات وتقريب الصِلات بينهما جعل من الأندلس إقليما تابعا للمغرب سياسيا وجغرافيا.

فمن الناحية الجغرافية تكاد تُجمع المصادر على أن إقليم الأندلس جزء من بلاد المغرب، و يعتبر آخر الجزء المعمور منه. حتى صار يسمى المضيق الفاصل بينهما بالمجاز أو الزّقاق، نظرا لضيق المسافة بينهما، والتي يمكن عبورها في وقت قصير[4].

ذكر المقَّري في ما نقله عن الشيخ احمد بن محمد بن موسى الرازي قوله أن "بلد الأندلس هو آخر الإقليم الرابع إلى لمغرب"[5].

منذ العهود الأولى للفتح الإسلامي إلى غاية سقوط غرناطة ارتبط القُطران، الأندلسي و المغربي بعلاقات متينة نظرا لقرب المسافة الجغرافية وسهولة التواصل بينهما. وقد شمل هذا التواصل شتى المجالات، الاقتصادية والسياسية والثقافية خاصة وأنهما عرفا الوحدة السياسية في عَهْدَي المرابطين والموحدين[6].

2.1 الوحدة المرجعية المذهبية والفقهية: لقد كان إتباع مرجعية مذهبية واحدة احد أهم العوامل التي أسهمت في تقوية الروابط الثقافية بين المنطقتين، حيث ساد المذهب المالكي في كليهما. هذا المذهب الذي يعتبر احد المذاهب السُنيَّة الأربع المشهورة في الفقه الإسلامي، والذي يُنسب لمالك بن أنس بن أبي عامر (ت 179هـ/813م)، إمام دار الهجرة بالمدينة المنورة.[7]

وقد عَرف هذا المذهب طريقه إلى هاته الربوع، واتَّبعه أهلها ونادرا ما قلَّدوا غيره من باقي المذاهب. وقد كان أهل المغرب الإسلامي كثيرو الرحلات إلى المدينة المنورة، سواء لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من فضل، أو لطلب العلم والأخذ عن شيخها وإمامها مالك الذي كثُرت إليه الرحلة في ذلك العصر[8].

ويُرجع ابن خلدون اختيار أهل المغرب لمذهبه دونما غيره من المذاهب الأخرى نظرا للطبيعة البدوية التي يتَّسم بها أهل المغرب. فكانوا أميل إلى أهل الحجاز للتشابه بينهم في البداوة، ولم يُقلدوا أهل العراق الذين كانت تغلب عليهم الحضارة9.

وقد اهتم أهل المغرب بموطأ الإمام مالك الذي اشتمل على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة وفتاوى التابعين. كما اهتم به علماء البلاد اهتماما بالغا. إذ قاموا بشرحه وحَرِصوا على تدريسه، كما اهتموا بباقي كتب المالكية الأخرى كالمدوَّنة لسحنون وكتاب التهذيب للبرادعي وغيرها من الكتب الأخرى[10].

وهكذا فقد كان طلبة العلم في بلاد المغرب يُقبلون على المدارس لدراسة الفقه المالكي وكتبه المشهورة، ولأن الكثير من السلاطين والدول التي مرت على أهل المغرب، شجعوا هذا المذهب. فقد عملوا به في القضاء والفتوى. وكذلك كان أهل الأندلس أميل إلى ذات المذهب. مع أنهم كانوا في بداية الفتح الإسلامي على مذهب الإمام الأوزاعي وبقوا عليه إلى أن حملهم السلطان الحكم بن هشام بن عبد الرحمن على تركه والأخذ بالمذهب المالكي. وقد اختلف في السبب الذي جعل عبد الرحمن الداخل يُفضله. بين من قال أن جماعة من علماء الأندلس رحلوا إلى المدينة المنورة ودرسوا عند الإمام مالك، ولما رجعوا وصفوا فضله وسعة علمه وجلالة قدره لعامة الناس فتبنُّوا مذهبه. وهناك من قال أن الإمام مالك سأل طلبة الأندلس عن سيرة سلطان الأندلس فقالوا له أنه يأكل الشعير ويلبس الصوف، ويجاهد في سبيل الله فقال لهم مشيدا به أن ليس عندنا في حرم الله مثله. وكان ذلك من أسباب محنته، وتعرضه لاضطهاد العباسيين. ولما سمع هشام بن عبد الرحمن بذلك حمل الناس على إتباع مذهبه وترك مذهب الإمام الأوزاعي.

ومنذ ذلك الحين أصبح المذهب المالكي هو المذهب السائد في بلاد الأندلس. وإن لم يكن المذهب الوحيد الذي عرفه الأندلسيون، فقد ساد بينهم أيضا المذهب الظاهري والمذهب الحنفي والشافعي[11].

إن المذهب المالكي استقطب أهل المغرب الأوسط وأهل الأندلس. فكان بمثابة المرجعية الأولى للفتوى والقضاء، ومحل اهتمام بالغ من قبل طلبة العلم الذين اقبلوا على أمَّهات الكتب المالكية شرحا وحفظا. كما ألَّفوا فيه بدورهم وساهموا في تطويره وإثراء مباحثه الشاملة لمختلف نواحي الحياة.

ومما لا شك فيه أن توحُّد المرجعية الفقهية بين القطرين كان له دور بارز في تقوية الروابط الفكرية والثقافية بينهما.

ويمكن القول أن هذين العاملين سهَّلا حركة وتنقُّل العلماء بين القطرين. الأمر الذي ساعد في تمتين العلاقات بينهما وظهور أشكال واضحة من التأثير الثقافي المتبادل الذي كاد يصنع التوأمة بين الجارتين اللتين كثيرا ما وصفهما بعض المؤرخين بالعُدوتين.

2. أشكال ومظاهر التبادل الثقافي بمجال الدراسة

2.1 في المجال العلمي:

سهل التقارب الجغرافي بين المغرب والأندلس من رحلات العلماء وهجرتهم بين الجارتين خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، خاصة منها هجرة العلماء الأندلسيين إلى بلاد المغرب، حيث قاموا بتنشيط الحلقات العلمية المختلفة. ففي علم الفقه كان للعلماء المغاربة دور بارز في توسيع نشر الإسلام وتعميق الثقافة العربية الإسلامية، خاصة و أن مذهب الإمام مالك الذي حظي بدعم جهاز الحُكم، يضاف لذلك التصوف الذي تَجذّر وانتشر بين العامة والخاصة. ومن المؤلفات المالكية التي راج تدريسها بين المغرب والأندلس نجد كتاب الموطأ للإمام مالك بن انس، والمدونة لسحنون بن سعيد المتوفى عام 240هـ/854م. ويعتبر أيوب بن أبي الصَلْت (ت246هـ/860م) أول من أدخل هذه المؤلَّفات المالكية إلى الأندلس، إضافة إلى كتاب الرسالة لأبي محمد عبد الله ابن أبي زيد الملكي القيرواني (ت399هـ/1009م) و كتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي (ت400هـ/1010م) وكتاب التلقين في الفروع للقاضي عبد الوهاب (ت422هـ/1031م) وكتاب المستصفى في أصول الفقه لأبي حامد محمد الغزالي (ت 505هـ/1111م) وكتاب فرائض ابن الحاجب. ويظهر التأثير الأندلسي في مجال علم الفقه بانتقال الفقهاء الأندلسيين إلى بلاد المغرب. وقد تولّوا تدريس الفقه في شكل حلقات يحضرها الطلبة للتلقّي والاستزادة واستكمال العلم، بالإضافة إلى ذلك تولى الفقهاء الأندلسيون القضاء والخطابة في المساجد، ومن الفقهاء الأندلسيون الذين انتقلوا إلى بلاد المغرب وزاولوا التدريس بها، الفقيه أبو الحسن علي

الشهير بالزيات المتوفي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، والذي انتقل إلى بجاية ثم إلى تونس وكانت تُقرأ عليه أمهات الكتب المذهبية. وقامت أم العلاء سيدة بنت عبد الغني العبودي (ت647هـ/1249م) بتسخير جهدها لتعليم بعض من بنات المغرب. إضافة إلى نسخ كتاب إحياء علوم الدين للغزالي. وكانت تتميز بخط حسن. كما كانت حافظة للقران الكريم وقد انتقلت من الأندلس إلى بلاد المغرب. وقد اثّر اجتهاد هذه السيدة العالمة كثيرا على تسهيل عملية النسخ في بلاد المغرب وعلى جودة الخط[12].

وهكذا فقد كان الكثير من الفقهاء والقضاة والخطباء من مواليد القطر الأندلسي و كانوا قد درسوا به، ودرّسوا فيه. وعند هجرتهم إلى بلاد المغرب عموما وإلى المغرب الأوسط خصوصا. استكملوا وظيفتهم فساهموا في نشر العلم والدين بين الناس. كما كان لفقهاء بلاد المغرب دور بارز في نقل أصول المذهب المالكي وفروعه ومؤلفاته إلى الأندلس.

كذلك كان لعلم الحديث رواية ودراية مكانته الكبيرة عند المغاربة والأندلسيين. فقد حرص الموحدون على تدريس علم الحديث. وقد تضمنت الكتب الفقهية التي تبنَّاها المغاربة الأحاديث النبوية مثل كتاب الموطأ للإمام مالك. وقد انتشر علم الحديث بين الطلبة والقضاة، والخطباء وانتشرت حلقاته. ومع هجرة العديد من علماء الأندلس إلى بلاد المغرب العربي، فقد تولوا نشر الحديث وتدريسه، وظهرت أسماء علماء أجلاء كثر برعوا في هذا العلم، ومن هؤلاء نجد أبو العباس احمد بن محمد بن حسن بن جعفر الشاطبي (ت674هـ/1275م)، وقد كان فقيها ومحدثا ومقرئا وقد نزل ببجاية وروى بها، وقرأ عليه الكثير من الطلاب الذين رووا عنه، كما روى الكثير من الكتب – مصنفات في علم الحديث– وكذلك روى المحدث أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر ابن عبد الغني القرشي الأندلسي (ت608هـ/1211م)–روى– بتونس وبجاية وقد قال

عنه طلابه أنه كان له رواية عالية، وأنه كان حسن المعشر مع الطلاب، وانه التقى بالشيخ الفقيه الصالح علي بن أبي نصر البجائي[13].

وكانت تخصص حلقات متعددة لتدارس كتب الحديث مثل كتاب الموطأ للإمام مالك، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داوود، وجامع الترمذي، وكتاب التمهيد والاستذكار لأبي عمر بن عبد الله، بن عبد البر النمري وغيرهم، وقد برز الكثير من علماء المغرب الأوسط في علم الحديث منهم أبو إسحاق التنسي (ت 680هـ/1281م) وقد كان من أكابر علماء المغرب الإسلامي ترد عليه الأسئلة والطلاب من مختلف البقاع. وقد درس الحديث وغيره من العلوم في تلمسان وغيرها، فانتفع به خلق كثير، وكانت له طريقة حسنة استطع من خلالها أن يؤثر في الكثير من طلبة العلم[14] .

أما بالنسبة لعلم التصوف الذي يقوم أساسا على العكوف على العبادة والزهد في الحياة الدنيا والميل إلى الآخرة. فقد عرف مذاهب متعددة، اختلفت المواقف تجاهها بين من اعتبر التصوف المقبول هو ذلك الذي يستمد مشروعيته من ممارسات الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين. وبين مذاهب لم يجد حرجا في مزج تصوفها من النحل الأخرى وارتبط بالرقص والغناء في ممارساتهم، هذا الأمر الذي اعتبره الفريق الأول بدعة في الدين لا تقبل بأي حال من الأحوال. ومع ذلك فعلى العموم انتشر التصوف بنوعه في بلاد المغرب، وظهر الكثير من الشيوخ المتصوفة من أمثال القطب أبو مدين شعيب الغوث البجائي الذي توفي في طريقه إلى تلمسان عام 594هـ/1198م، وكذلك اشتهر متصوفة آخرون وكان لهم احترامهم من قبل العامة والخاصة، مثل أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق(ت 681هـ /1282م)والذي كان من الصلحاء والأولياء والشهير وقد برع في الحديث والفقه والتصوف[15] .

وكذلك انتشر التصوف في بلاد الأندلس واهتم به الخاصة والعامة وقدس الأولياء الصالحون في حياتهم وبعد مماتهم، ومن أشهر متصوفة القرن السادس الهجري، محي الدين ابن عربي الذي ولد في شرق الأندلس سنة 560هـ/1165م، في مدينة مرسية وتربى على أيدي الشيوخ الأندلس وقد اتجه إلى طريق الزهد والتصوف رافضا المكانة الرفيعة التي عرضت عليه في القصر، وقد فتح عليه الله بعلوم جمة أدت إلى شهرته التي عمت بلاد الأندلس والمغرب[16].

وقد جاب الشيخ ابن عربي مدن الأندلس وأنحاءها متعلما من شيوخها، معلما لهم ثم ما لبث أن سافر إلى بلاد المغرب العربي وافريقية حيث قضى سنوات عديدة، وقد زار تونس ومدنا مغربية كثيرة، فقد زار تلمسان وهي مدينة قديمة، في الجبال غرب الجزائر قربا من حدود المغرب، وكانت هذه المدينة مركزا للمصنوعات اليدوية بالإضافة إلى كونها مركزا ثقافيا، ودينيا تدرّس بها التعاليم الإسلامية، وقد أكد المؤرخون أن الشيخ ابن عربي كان موجودا في تلمسان سنة 590هـ/1194م، وقد قال هو نفسه عن هذه المدينة أنه رأى فيها كثيرا من الصناع المهرة، الذين كانوا يصنعون نوعا من السهام تعود إلى راميها تلقائيا بعد رميها، فاخذ من ذلك عبرة مهمة وهي أن الأعمال ترجع في النهاية إلى من يعملها. وقد زار الشيخ قبور بعض الأولياء الصالحين في هذه المدينة وخارجها، كما التقى الشيخ الأكبر بالشاعر أبو يزيد عبد الرحمن الفزازي قبل وفاته سنة637هـ1239م[17].

لقد ذكرنا أمثلة ونماذج من العلوم النقلية، وهي علم الفقه وعلم الحديث وعلم التصوف، من باب الاشارة للتواصل الثقافي بين المغرب الأوسط والأندلس، وهي على سبيل المثال لا الحصر. ذلك أن التأثر والتأثير بينهما شمل جميع العلوم النقلية والفلسفية اللغوية مثل القراءات، وعلوم القرءان، وعلوم التفسير، وعلم التوحيد، وعلم النحو، والفلسفة.

ففي مجال العلوم الطبيعية نكتفي بذكر العلوم الطبية كنموذج للتواصل العلمي والمعرفي بين الجارتين، حيث كان هناك تواصل في المجال الطبي، خاصة مع ما للطب من أهمية في حياة المجتمعات الإنسانية.

إذ اتَّسم الطب في بلاد الأندلس خلال القرن السادس الهجري بأنه يعتمد كثيرا على البحث العلمي، أما في بلاد المغرب فقد كان يعتمد أساسا على التجارب الواقعية والخبرات المتوارثة التي مرت بها الأجيال[18].

إذ انتقل الكثير من الأطباء الأندلسيين إلى بلاد المغرب، ومارسوا الطب في أوساط المجتمع، وذهبت الكثير من المصادر إلى أنهم مارسوا الطب في الحواضر الكبرى منها بجاية وفاس وتونس. ونظرا لكفاءتهم ونجاحهم في عملهم، ذاعت شهرتهم وتعددت الأقاليم، فقد حرص الحكام المغاربة على تقريبهم منهم، والتنافس في استقدامهم، ومنهم الطبيب أبو القاسم محمد بن احمد الأموي المعروف بأندراووس (ت 674هـ/1275م) الذي استقر ببجاية ووصفه تلامذته المغاربة بأنه كان باحثا جيدا وله معرفة بعلم الأدوية، كما كان ذا حدة ذهن وجودة تبسيط لتعليم الطب[19].

وقد اهتم الأطباء الأندلسيون بالإضافة إلى ممارسة الطب بتشخيص الأمراض، وتقديم الأدوية بتدريس أمهات المؤلفات الطبية، ومنهم أبو العباس احمد بن خالد المالقي (ت 660هـ/1216م)، الذي انتقل إلى بجاية، ودرس به مؤلفات ابن سينا، ولا يسما أرجوزته المشهورة في الطب، ولقد كان مجلسه يعج بكبار العلماء، وكثير من الطلبة، الذين تدارسوا معه وتناقشوا في فن ومهنة الطب[20].

2.2 المجال الفني:

لقد عرفت كل من بلاد المغرب والأندلس اهتماما كبيرا بالفنون المختلفة، من خط، ومعمار وموسيقى وغيرها، فقد عرف المعمار في بلاد الأندلس ازدهارا كبيرا حيث كان السلاطين مولعين ببناء القصور، وإنشاء المساجد وقد خلف الأندلسيون قصورا عظيمة،

مثل مسجد قرطبة، المسجد الجامع بغرناطة، ومسجد الحمراء، ومساجد أخرى، وأما القصور فقد اتسمت بالروعة والجمال فقد حرص السلاطين على بناء القصور الشامخة، والقلاع الحصينة، وإحاطة المدن بالأسوار نظرا لاستمرار الصراع بين المسلمين والنصارى في شبه الجزيرة الأيبيرية، ومن أمثلة تلك القصور التي انتشرت في كل مدن الأندلس، قصر الحمراء بغرناطة، قصر جنة العريف، إضافة إلى أثار أخرى غاية في الروعة والجمال. وقد انعكس هذا الازدهار المعماري على بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة، والمغرب الأوسط بصفة خاصة، نتيجة الهجرات الأندلسية اتجاه مدنه، فقد هاجر إلى مدن المغرب الأوسط عدد كبير من الفنانين والحرفيين، الذين ظهرت تأثيراتهم بشكل واضح في مدن المغرب الأوسط، خاصة مدينة تلمسان، مثل الجامع الكبير الذي يشبه إلى حد كبير جامع قرطبة، لاسيما في المحراب الذي يشبه كثيرا محراب جامع قرطبة، في الشكل والنقوش التي تعلو القوس، والكتابات والزخارف، وكذلك يظهر التأثير في جامع سيدي بومدين والذي تشبه زخارفه الهندسية التي تكسو جدرانه زخارف قصر الحمراء بغرناطة[21] .

وهكذا فقد ظهر الطابع الأندلسي في البناء والزخرفة في مساجد مدن المغرب الأوسط وقصورها، خاصة المسجد الأعظم في تكرارت، الذي شيد في عهد يوسف بن تاشفين في عهد المرابطين (ت 500هـ)، وعمل على توسعته السلطان يغمرانس 681هـ/1282م، الذي أضاف إليه بيتا للصلاة، والصحن والمئذنة التي زينت بالحجارة المنقوشة والآجر الأحمر[22].

لقد اهتم الأندلسيون بالمعمار منذ دخول الإسلام إلى هذه الأرض، واهتم خلفاؤها بالبناء والتشييد فتطورت عمارتها خاصة مع توفر مادتها الأولية، ومع وجود حرفيين ومهنيين اهتموا بها، وحرصوا على مراعاة طابعها الإسلامي، وقد امتدت تأثيراتها إلى بلاد المغرب، منذ عهد المرابطين. ورغم وضوح تأثُّر العمران المغربي بالأندلسي، إلا أن المغرب

بقي محافظا على نمطه في العمران من حيث البناء ومتانة الهيكل. وهكذا ظهر الطراز الأندلسي المغربي الذي هو مزيج من فنون الأندلس والمغرب.

أما بالنسبة للموسيقى فقد عَرفت هي الأخرى تطورا وازدهارا كبيرا في الأندلس وقد امتد تطورها إلى بلاد المغرب، ويعتبر أمية أبو الصلت الاشبيلي (توفي 525هـ) أول من أدخل الموسيقى الأندلسية إلى افريقية، وقد انتقل كثير من الفنانين الأندلسيين إلى المدن المغربية مثل بجاية، وتونس وتلمسان، وفاس، وكان تأثيرهم كبيرا في الموسيقى حيث انتقلت الألحان الأندلسية إلى الطبقة البرجوازية والبيوتات الخاصة، فقد كانت هذه الطبقات شديدة الإعجاب بالحضارة الأندلسية بشعرها وأدبها وألحانها[23].

وقد ظهر ببلاد المغرب لونين من طبوع الموسيقى، نتج عن الموسيقى الأندلسية والموسيقى المغربية فأما الأول فهو المالوف الذي ارتبط بالحضارة بالعمران، ولم يتغلغل داخل الأوساط الشعبية، والثاني يتمثل في النوبة وهي نصوص وتوشيحات زجلية يتم النظم على منوالها، ولكل نوبة خمسة ميازين واحتفظ المغرب بإحدى عشر نوبة وهي المایة، ورمل المایة والعشاق، والأصفهان، ورصد الدليل والاستهلال، والحجاز الكبي، وعرق العجم والغريبة، والحجاز المشرقي والرصد، كما نتج عند هجرة الفنانين الأندلسيين إلى بلاد المغرب ظهور ثلاث مدارس فنية هي مدرسة غرناطة حيث ظهر ما يعرف بالطرب الغرناطي خاصة في الجزائر، ومناطق مغربية، ومدرسة ثالثة تجمع بين التراث الغرناطي البنسلي، وقد حافظت هذه المدارس على التراث الفني العتيق[24].

خاتمة: (حجم 16 سميك)

إنه ومن خلال هذه الورقة البحثية توصلنا إلى النتائج التالية:

– إن العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس في القرن السادس الهجري تعد إحدى مظاهر التواصل بين القطرين المغرب الأوسط والأندلس.

– ازدهر التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط والأندلس بسبب القرب الجغرافي الذي أدى إلى الوحدة السياسية بينهما، وكذلك بسبب الوحدة المذهبية الفقهية والعقدية الأمر الذي سهل انتقال العلماء بينهما.

– لقد كانت العوامل التي أدت إلى التواصل الثقافي مشجعة ومسهلة لانتقال العلماء بين المغرب الأوسط والأندلس، وهكذا فقد وقع اندماج ثقافي ازدهرت خلاله المعارف، وحدث اندماج ثقافي نتج عنه إبداع في مختلف العلوم والفنون.

– لقد هاجر الكثير من علماء الأندلس إلى خلال القرن السادس الهجري إلى المغرب الأوسط وساهموا في إحداث وعي علمي ومعرفي وفني جديد، فساهموا في تدريس العلوم واشتغلوا بالقضاء والفتوى، وادخلوا الخط الأندلسي والطراز المعماري الأندلسي إلى بلاد المغرب.

– ظهرت معالم التأثير الأندلسي في بلاد المغرب في تنظيمهم للحلق والمجالس العلمية فقد ادخلوا بذلك طرق تعليم جديدة، وفي انتشار مظاهر العمارة الأندلسية في قصور ومساجد حواضر المغرب الأوسط خاصة بجاية وتلمسان، وفي انتشار الطبوع الموسيقية الفنية الأندلسية في شرق الجزائر وفي غربها.

– كما اثر العلماء والفنانون الأندلسيون في الثقافة والمعرفة في المغرب الأوسط، تأثروا بدورهم بالثقافة المغاربية، وكثيرا ما ارتحلوا من حظيرة إلى أخرى بحثا عن عالم أو شيخ من شيوخ المغرب لأخذ العلم والإجازات.

* لقد اهتم علماء الأندلس والمغرب الأوسط بكل العلوم الدينية والطبيعية وغيرها ففي مجال علم الفقه كان للعلماء الغاربة دور بارز في نقل أصول الفقه المالكي وفروعه ومؤلفاته إلى بلاد الأندلس، وقد ساهم الكثير من علماء الأندلس في تدريسه في بلاد المغرب وفي الفتوى والخطاب المسجدي، وكذلك في علم الحديث والتصوف والتوحيد والتفسير وغيرها ظهرت أسماء علماء أجلاء أندلسيين، ساهموا بدور بارز في نشر العلم

والدين بين الطلبة وعامة الناس، كما استفادوا هم من العلماء المغاربة ومن الحواضر العلمية الكبرى التي ظهرت بها.

– وكذلك في مجال العلوم الطبيعية المختلفة خاصة مجال الطب، ساهم أطباء الأندلس في التطبيب وصناعة الأدوية، وتناقشوا في حلق علمية مع نظرائهم المغاربة، وقد أعطيت لهم مكانة خاصة في قصور حكام المغرب الأوسط، تشجيعا لهم وتقديرا لجهودهم وعلمهم.

– يعتبر المجال الفني هو الأخر مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط والأندلس، حيث هاجر الفنانون الأندلسيون إلى بلاد المغرب ونقلوا إليها الزخرفة الأندلسية البديعة التي تترجم جمال الطبيعة في شبه الجزيرة الأيبيرية، فظهرت مساجد وقصور تحاكي قصور ومساجد غرناطة واشبيلية، وتشبهها إلى حد كبير، رغم أن الطابع العمراني المغاربي بقي محافظا على متانته وهيكله العام.

– في مجال الموسيقى ظهرت طبوع موسيقية عند أهل تلمسان وقسنطينة تشبه الطبوع الموسيقية الأندلسية، وتختلف عنها في بعض الألحان والأوتار وهو صنف فريد من نوعه إن دل على شيء فإنما يدل على الإبداع الذي صنعه الاندماج بين الفنانين الأندلسيين والفنانين المغاربة.

4.التوصيات:

وبناء على النتائج المتوصل إليها ارتأينا أن نقدم التوصيات التالية:

– الاهتمام بالآثار والمخطوطات العلمية التي خلفها العلماء المغاربة والعلماء الأندلسيون في مجال العلوم النقلية والطبيعية والفلسفية.

– الاهتمام بالآثار الفنية التي نتجت عن التزاوج بين الفن الأندلسي والفن المغاربي، وتصنيفها ضمن التراث الفني الخالد.

– الدعوة إلى مزيد من المؤتمرات والملتقيات حول الشيوخ والعلماء الذين عاشوا بين المغرب والأندلس مثل ابن عربي وابن رشد وابن الخطيب والمقري وغريهم كثير، والتأكيد على دورهم في خدمة التراث الإسلامي والارتقاء بالحضارة الإسلامية.

الملاحق:

قصر المشور- تلمسان

قصر المنصورة - تلمسان

1. عبد الله بن عبد العزيز البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، دت، دط، ص76.
2. شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، ص26
3. عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، دار القلم، ط3، 1983، دمشق، ص36.
4. أحمد موسى عز الدين، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، ط1، 1983، ص49-51.
5. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق اراجان عباس، المجلد الأول، دار صادر، دط، 1968، ص129.
6. محمد بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص55.

7. عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني، –633هـ–962هـ ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستار في تاريخ المغرب الإسلامي، – غير منشورة– 2007–2008 ص 105.
8. المرجع نفسه، ص 106.
9. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، ط1، بيروت، ص498.
10. عبد القادر بوحسون، ص 118.
11. المرجع نفسه، ص120.
12. بكري العيد، العلاقات الثقافية بين الأندلس ودول المغرب بين القرن 7–9 هـ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الأوسط، غير منشورة، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2014–2015م، ص53–54.
13. المرجع نفسه، ص 57–58.
14. عبد القادر بوحسون، مرجع سابق، ص 55.
15. المرجع نفسه، ص 64–65.
16. المرجع نفسه، ص64–65.
17. حمد علي حاج يوسف، شمس المغرب – سيرة الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي ومذهبه– دار فصلت للدراسات والترجمة، ط1، 2006، سوريا، ص145–151.
18. محمد ابن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثقافة، دط، 1985، ص 63.
19. بكري العيد، مرجع سابق،ص 64–65.
20. المرجع نفسه، ص65.
21. عبد القادر بوحسون، مرجع سابق، ص 126–128.
22. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، دط، دت، الجزائر، 2002 ، ص223.
23. محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 26، 1975، ص47.
24. بكري العيد، مرجع سابق، ص 157–158.